

هو العليم

تفسير آية

الله نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ %

موعظة ليلة الثلاثاء

في

٦ شعبان ١٣٩٦ هجرية قمرية

المحاضرة السابعة

سَمَاحَةُ الْعِلْمِ لِلرَّحْلِ

آيَةُ اللَّهِ الْحَاجِّ الْحَاجِّ السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنِيِّ الْحُسَيْنِيِّ الظَّهْرَانِيِّ

أفاض الله علينا من بركات نفسه القدرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المحاضرة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

ولعنة الله على أعدائهم أجمعين

٨ الله نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ% (١)

كان كلامنا في معنى النور، وقد ذكر في الأسبوع الماضي أنّ جميع آيات الله هي نور، وأنّ جميع الموجودات آيات الله. وتكون الآيات على قسمين: الآيات الأفقيّة والآيات الأنفسيّة. الآيات الأفقيّة: هي الموجودات الخارجيّة، ومن ضمن الآيات الأفقيّة ذهن الإنسان وتفكيره، وهذه الآيات لا تقدر على إظهار جميع

جهات الله على النحو الذي يجب أن تُظهرها، بل كل واحدة منها تكشفُ وتفصحُ على قدر سعتها الخاصة بها.

وأما الآيات الأنفسية: فهي نفس الإنسان، وهي آية من آيات الله تعالى. فهل تستطيع النفس أن تُظهرَ ذات الله تعالى وتبينها؟ يعني إذا اتصل الإنسان بباطنه، هل يمكن له أن يصل على النحو الذي ينبغي أن يكون، فيصل إلى مقام لقاء الله من كل الجهات؟ ويدرك جميع صفات الله الكلية وأسمائه، ويفنى في ذات الله أم لا؟ وهذا المطلب يشكّل بحثاً في حد ذاته.

وبيان هذا المطلب بشكل مختصر هو أن خلقة الإنسان تختلف عن خلقة سائر الموجودات، فالإنسان لديه خصوصية وميزة خاصة، وهو يختلف عن سائر الموجودات، يذكر القرآن المجيد في بعض الموارد خصوصية الإنسان؛ فيقول في مكان: ^١هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا^(٢) وهو يعني - على نحو الإجمال - أن الإنسان أعلى من ^١مَا فِي الْأَرْضِ، لأن هؤلاء خلقوا ببركة الإنسان ولأجله. وفي آية أخرى: ^١الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُو أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا^(٣) وعليه، فإن خلقة السموات والأرضين، ونزول الأمر بينهما، من أجل أن يتعرف الإنسان على قدرة الله المطلقة وعلمه المطلق، وجميع تلك المخلوقات من أجل معرفة الإنسان،

٢ - سورة البقرة الآية ٢٩.

٣ - سورة الطلاق الآية ١٢.

فالإِنسان أعلى منهنّ لأنهنّ خُلِقن من أجله، وخلقن لمعرفة الإنسان وعلمه، فهذه آية.

وهناك آية أخرى في سورة إبراهيم وهي: ^٤ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ ^٥ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ^(٤) أي إنّ الشمس والقمر والليل والنهار مسخرون للإنسان، فالإنسان أرقى وأشرف منهنّ حيث هنّ مسخرات للإنسان.

ومن الآيات الموجودة في القرآن الكريم قوله تعالى: ^٨ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ ^(٥) وكذلك قوله تعالى: ^٨ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ^(٦) ويستفاد من هذه الآية: أنّ كلّ موجود في السموات من الملائكة، والنفوس العليا، والموجودات المجردة، وكلّ موجود في الأرض من أرواح الجنّ، والجمادات، والنباتات، والحيوانات، مسخّرة جميعها للإنسان، فالإنسان أشرف منها حيث خُلِقن لأجله، وسُخِّرن له، وجعلن بأمر الله تحت انقياده، هذه طائفة من الآيات.

وقد ورد في سورة السجدة: ^٨ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ^(٧)، فما هي روحك؟ ذلك الشيء الذي تتحقّق حقيقة كلّ شيء به، فروح الإنسان ذلك الشيء الذي تكون حقيقة الإنسان قائمة به.. حقيقة ذات الوجود.. وقد نفخ في الإنسان من تلك الروح.. أي من روحه، وليس هناك شيء

٤ - سورة إبراهيم الآية ٣٣.

٥ - سورة الحج الآية ٦٥.

٦ - سورة لقمان الآية ٢٠.

٧ - سورة السجدة مقطع من الآية ٩.

من الموجودات يقول الله في حقّه: إني نفخت فيه من روحي، ولم يرد شيء من ذلك حتّى بالنسبة للملائكة، وهو مختصّ بالإنسان الذي نفخ فيه من روحه.

كذلك يبين عمليّة خلق الإنسان في سلسلة تكامل النطفة، حيث تحوّلت في رحم الأم من نطفة إلى علقة ثمّ إلى مضغة، وهكذا.. لتطوي دورة نموّها، يقول تعالى: ^٨ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۖ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ^(٨)، فقد أثنى الله على نفسه في خلقه الإنسان.

كذلك عندما خلق السموات والأرض، يقول: ^٩ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ^(٩) أو ^{١٠} تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ^(١٠) هذه الآيات تبيّن كيف أنّ الله في حال ثناء على نفسه، بالنسبة لخلق الإنسان، فالله بهذا اللفظ يثني على نفسه: ^{١١} فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ^(١١) حيث أنشأ خلقاً آخر، وتلك الخلقة عجيبة جداً.

وفي آية أخرى يقول تعالى: ^{١٢} لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ^(١٢)، فما معنى ^{١٢} فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ؟ يعني: إنّ ماهيّة الإنسان كانت أعلى وأفضل من جميع المواهب وأرقى من جميع الموجودات والموادّ والماهيات التي خلقناها، وهي أحسن تقويماً.

٨ - سورة المؤمنون مقطع من الآية ١٤.

٩ - سورة الملك مقطع من الآية ١.

١٠ - سورة الفرقان مقطع من الآية ١.

١١ - سورة المؤمنون مقطع من الآية ١٤.

١٢ - سورة التين الآية ٤.

كذلك عندنا في سورة البقرة قوله تعالى: ^٨ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ^٩ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَخَنُنُ نُسِخٌ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ^{١٠} قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هٰٓؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِينَ ﴿١٢﴾ قَالُوا سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٣﴾ قَالَ يَتَّخِذُمْ أَنْبِيَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبٰلِيسَ أَبٰى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿١٥﴾ % (١٣).

يمكننا أن نستفيد من هذه الآيات من ثلاث جهات:

الجهة الأولى: إنَّ الإنسان أشرف من الملائكة. فالإنسان أشرف من جميع الملائكة واقعاً، حتّى من جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، فهم الملائكة المقربون وحملة العرش، لكنّ مقام الإنسان أعلى منهم. ما هو تقريب الاستدلال؟ يكون ذلك بثلاث طرق.

قال الله للملائكة: يا ملائكة! أريد أن أجعل في الأرض خليفة لنفسي؛ وعنوان الخليفة يعني: ذلك الشخص الذي ناب عني من جميع الجهات، لأنّه لم يقل: إني أجعل على الأرض خليفة من جهة واحدة، أو من عدّة أوجه؛ بل إنَّ الإنسان خليفتي بنحو مطلق دون أن يذكر أيّ تقييد للخلافة. فلو أراد الملك أن يسافر وقال: فلان خليفتي، فهذا يعني أنّه خليفته في جميع الأمور، وجميع الجهات. والله يريد أن يجعل في الأرض

خليفة، يعني: الموجود الذي هو مرآة لجميع مظاهر الله تعالى؛ أي أن يُظهر الله من جهة العلم.. من جهة القدرة الغير المتناهية.. من جهة الحكمة.. من جهة جميع الأسماء والصفات.. الجزئية والكلية.. تلك المرآة العظمى.. التي هي الآية الكبرى، فأنا أريد أن أخلق شيئاً بهذا الشكل.

ودلالة عنوان لفظ الخليفة عامة على نحو الإطلاق، تفيد أن الإنسان موجودٌ يستطيع أن يحاكي الله بتمام معنى الكلمة، ويكون مرآة لجميع أسمائه وصفاته، هذا من جهة.

ثم قالت الملائكة لله تعالى: إلهنا! أنت تريد أن تجعل على الأرض من يفسد فيها ويسفك الدماء؟! والحال أن الإنسان هو الشخص الذي يفسد ويسفك الدماء في الأرض، ونحن الطيبون، الذين نسبح بحمدك ونقدس لك.. ونزّهك ونبرئك من جميع صفات النقص، وما دمنا موجودين، وحاملين لهذه الصفات ونسبحك ونقدسك بشكل دائم، فما هي الحاجة إلى أن تجعل في الأرض موجوداً مفسداً يسفك الدماء ليكون هو خليفتك؟!

وفي مقام جوابهم يقول الله لهم: أنا أعلم شيئاً أنتم لا تعلموه، أي هناك سرٌّ كامن في هذا الخليفة.. وهناك أمرٌ عجيب داخل سرّ الإنسان.. داخل سرّ آدم.. وأنا من أعلم حقيقة هذا الشيء.. وسوف أضع فيه شيئاً لا يتحمّله عقلكم ولا يناله علمكم.. وأنتم أقلّ من أن يقدرَ طائرُ أفكاركم العالية على التحليق لنيل ذلك السرّ الذي أريد أن أجعله في الإنسان، والذي بواسطته أجعله خليفتي.

ثمّ بعد ذلك علّم الله آدم الأسماء؛ والأسماء هي: حقائق جميع الموجودات بشكل مباشر. فعلم آدم الأسماء التي تمثّل - بجميع ظهوراتها - مظهر جمال الله. يعني: جعل سعة آدم حاوية على جميع أسماء الله وصفاته، وطوى في آدم جميع أسمائه وصفاته.

٨ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ% وبعد أن عرضهم على الملائكة قال: أخبروني بأسماء هؤلاء!

ما معنى ذلك؟ يعني: أنبئوني عن أسماء ما علّمته لآدم، لا حقائق الأسماء!! بل أسامي هذه الأسماء.. يعني أنبئوني عن العلامة التي تحاكي هذه الأسماء وتدلّ عليها بما هي حقائق منطوية في ذات آدم.. فأنبئوني عن اسم هذا الاسم! فما علّمته لآدم هو حقائق الأسماء، ولكن أخبروني عن أسماء هذه الحقائق فقط، فقالوا:

قالوا: نحن أيضاً لا نعلم اسم الأسماء، ٨ لَا عَلِمَ لَنَا... إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمْتُمُ الْغُيُوبِ... إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ% فكلّ واحد من الملائكة عنده علمه الخاصّ والمحدود، ولديه دراية خاصّة، فلا يستطيع أن يتجاوز ذلك المقام المعلوم له، وكلّ ملك لا يستطيع أن يتجاوز حدّه الوجودي، فذلك المقدار من العلم الذي أعطاه الله إلى جميع الملائكة - وحتى الملائكة المقربين - مقتصرٌ على تلك الجهة فقط، وليس لديهم أكثر من ذلك، فحتّى أسماء الأسماء لا نعرفها ولا علم لنا بها.

٨ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ%.

وحينما أراد آدم أن يعلم الملائكة الأسماء، قالوا: ^٨ لَا عَلَّمَ لَنَا، لا نقدر على ذلك، لا سعة لنا، إلهي أنت علام الغيوب، الذي تعلم من الذي تعلمه هذه الأسماء، وبما أنك علمتها لآدم، فيتضح أن لآدم سعة ومقام أعلى وأشرف منا؛ أما نحن فليس لدينا إلا ذاك العلم المحدود الذي تفضّلت به علينا.

حسناً، وماذا يستفاد أيضاً من ذلك؟ يستفاد أن الملائكة لم يستطيعوا تحمّل الأسماء، كما ولم يستطيعوا أن يعرفوا اسم الاسم، هذا.. أي لم يجدوا سبيلاً إلى حقائق الموجودات، والتي هي بأجمعها أسماء الله الكلية التي علمها لآدم وطواها في وجوده.

إذن، استطاع آدم أن يعلم، إلا أن الملائكة لم يعلموا.. واعترفوا بقصورهم وجهلهم، وهذا الإنسان المسفك للدماء والمفسد في الأرض.. هذا الإنسان لديه استعداد، وعنده نفس وفطرة، وحتى مع كونه لا يدري هو بذلك ويعلم ذلك من نفسه إلا أنه رفيع المستوى جداً، فهو جوهرة ثمينة والله هو الذي يعلم ثمنها..

من هنا يستفاد بشكل واضح - وهذا كان الدليل الثاني الذي استفدناه من الآية - بأن الملائكة قد اعترفوا بقصورهم أمام ذلك العلم الكائن عند آدم. أنتبهتم! حسناً.

المطلب الثالث: قد أمر الله جميع الملائكة؛ أن اسجدوا لآدم، ^٨ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ%. وذلك لما قال: ^٨ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ: فـ"الملائكة" جمع محلي بالألف واللام ويفيد العموم. ما معنى جميع الملائكة؟ الملائكة الجزئية.. الملائكة الكلية.. الملك الصغير.. الكبير.. المقرّب.. جميعهم

إذا... جبرائيل.. إسرافيل.. ميكائيل.. جميع هذه الملائكة؛ ^٨أَسْجُدُوا لِأَدَمَ%
فلو لم يكن آدم أشرف منهم، فلماذا لا يسجد آدم لهم؟! بل يجب على
هؤلاء أن يسجدوا لآدم..

فلدى آدم خصوصية تفيد أشرفيته على الملائكة، ولأجل هذا
وظف الملائكة بالسجود لآدم، فسجد جميعهم إلا إبليس؛ وإبليس لم
يكن ملك بل ^٨كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنَّا أَمْرًا رِيئًا% (١٤).
حسنًا، جميعهم سجدوا؛ يعني: أدركوا أن مقام آدم أعلى منهم
وأرفع وسجدوا.

هذه الجهة الثالثة التي استفدناها من الآية، وهي أن الإنسان أفضل
من الملائكة.

وهنا علينا أن نتدبر بهذا المطلب، حيث أن السجود لغير الله ليس
بجائز، فلماذا أمر الله الملائكة أن ^٨أَسْجُدُوا لِأَدَمَ%؟ ذلك لأن في حقيقة آدم
سرٌّ من ذات الله، والسجود لحقيقة آدم سجد لله؛ وذلك مقام الفناء في
ذات الله الذي يستطيع الإنسان أن يحصل عليه ولا يبقى أي حجاب بينه
وبين الله؛ وعلى هذا الأساس جعل الله سرّه - الذي هو حقيقة روحه - في
آدم بعنوان وديعة، ولذلك كلف الملائكة بالسجود له.

هذه آيات أردنا أن نستفيد منها أن الإنسان أشرف من جميع
الموجودات. وبالتأكيد يمكن أن يستفاد ذلك من آيات أخرى. والروايات
في هذا المورد كثيرة. والآن إذا أردنا أن نستمرّ ببحث ذلك سوف يفوتنا

أصل المطلب، فنحن نريد فقط أن نثبت إجمالاً أنّ الآيات القرآنية تدلّ على أنّ نفس الإنسان وذاته، أي حقيقة وجود الإنسان الذي أوجده الله العليّ الأعلى عليها ذات ماهيّة كبيرة وواسعة إلى الحدّ الذي تعترفُ معه الملائكة المقربون بصغرهم وقصورهم في مقابله. وكم هو رائع ما قاله الحكيمُ السبزواريّ فيما يتعلّق بذلك، فقد قال:

اختران پرتو مشکات دل أنورما

دل ما مظهر کلّ، کلّ همگي مظهر ما^(١٥)

نه همين اهل زمين را همه باب اللهم

نُه فلک در دَوَرانند به گِردِ سر ما^(١٦)

بَرِ ما پير خرد، طفل دبیرستان است

فلسفي مقتبسي از دل دانشور ما^(١٧)

أو ما يقوله في مكان آخر:

فلک، دور زند بر محور دل

وجود هر دو عالم، مظهر دل^(١٨)

هر آن نقشي که از لوح، از قلم رفت

نوشته دست حقّ، بر دفتر دل^(١٩)

١٥ - يعني: ضوء النجوم من مشكاة قلبنا المنور، فقلبنا مظهر العالم الأعلى وكلّ العوالم مظهر لقلبنا

١٦ - يعني: نحن لسنا باب الله لأهل الأرض فقط، وإثما التسعة أفلاك تدور حول رؤوسنا.

١٧ - يعني: العقل عندنا لا يعادل أكثر من الطفل الذي يذهب إلى المدرسة، فالحكيم يقيس من قلبنا المنور بالعلم والمطالب الحكميّة.

١٨ - يعني: الفلك يدور حول محور القلب، ووجود العوالم الدنيويّة والأخرويّة مظهر للقلب.

جمله عالم چون تن وانسان دل است (چون تمام عالم براي انسان
خلق شد ديگر حقيقتش)

(۲۰) هر چه مي جوئي ز انسان حاصل است

هر دو عالم جسم وجانش آدم است

(۲۱) زان كه آدم اصل جمله عالم است

هست انسان مدار آسمان

(۲۲) نيست بي انسان، مدار آسمان

هست انسان مركز دور جهان

(۲۳) نيست بي انسان مدار آسمان

هر دو عالم گشته است اجزاي او

برتر از كون و مكان، مأواي او

لا مكان اندر مكان كرده مكان

۱۹ - يعني: كل نفس وكل صورة ثابتة في اللوح والقلم، فهي صورة قد كتبها الله على دفتر القلب. والمراد هو أن قلب الإنسان الكامل واسطة لتشكّل وتصوير هذه العوالم

۲۰ - يعني: كلّ العوالم مثل الجسم والإنسان مثل القلب، لأنّ تمام العوالم قد خلقت للإنسان فهي حقيقته، لذلك فكلّ شيء تطلبه يحصل من الإنسان نفسه، وذلك إشارة إلى ما قاله أمير المؤمنين:

دواؤك فيك وما تبصر

وداؤك منك وما تشعر

وتزعم أنّك جرم صغير

وفيك انطوى العالم الأكبر

۲۱ - يعني: عالم الدنيا مثل الجسم وحقيقتها الإنسان، لأنّ الإنسان أصل كلّ خلقه العالم.

۲۲ - يعني: فالإنسان مدار السموات، لا أنّ السموات تدر بدون الإنسان من تلقاء نفسها فإنّ الله قد خلق السماء لأجل الإنسان، وهو إشارة إلى الحديث القدسي: لولاك لما خلقت الأفلاك.

بي نشان گشته مقيد در نشان

واقعاً يجيد الشاعر في قوله هذا:

صد هزاران بحر، در قطره نهان ذره‌اي گشته جهان اندر جهان
اين ابد عين ازل آمد يقين

رائع ما يقوله: إن مقام الإنسان مع حقارته وصغره ودناءته، الذي كان ذرة لا ترى بالعين، طويت فيه جميع العوالم والملك والملكوت والظاهر والباطن، يبيئه بشكل جيد.

هنا نذكر لكم مسائل ومطالب من كلمات الفلاسفة والعظماء حول عظمة النفس، وهذه المطالب دقيقة جداً، التفتوا جيداً! لاحظوا ما يقوله العلماء الكبار حول النفس.

المرحوم الحكيم السبزواري في بعض تعليقاته ضمن أشعار المنظومة، يقول:

<والحق أن وجود النفس ذو مراتب وأنها الأصل المحفوظ فيها وأن كل فعل لأية قوة تنتسب في الحقيقة فعلها بلا مجاز وجداني وهذا ذوق أرباب العرفان.>

فيذكر ذلك ثم يعقبه بمطلب عن ابن العربي، ومراده من هذا التذييل هو:

<والحق أن نفس الإنسان لها مراتب، وجميع القوى الموجودة في الإنسان متحدة مع النفس، والنفس هي عين القوى، وكل فعل يصدر من

الإنسان فهو ناشئ من القوى، والقوى هي متحدة مع النفس، فهذا الفعل يمكن للإنسان أن ينسبه للنفس، فيقول: النفس فعلت هذا العمل، فعلت ذلك العمل، بلا مجاز، مع أن الفعل فعل خارجي ولكنّه فعل النفس، وتلك النفس متحدة مع هذا الفعل، يعني: هي مع هذا الفعل شيء واحد، وهذا ما يكشف عن اتساع النفس وقدرتها.

بعد ذلك يقول:

<هذا ذوق أرباب العرفان>

بعد ذلك يذكر مطلباً عن الشيخ محي الدين ابن العربي في

الفتوحات فيقول:

<النفس الناطقة هي النفس العاقلة، المفكرة، المتخيلة، الحافظة، المصورة، المغذية، المنمية، الجاذبة، الدافعة، الهاضمة، الماسكة، السامعة، الباصرة، الطاعمة، المستنشقة، اللامسة، وهذه النفس التي تدرك الأمور، جميع هذه القوى الموجودة في الإنسان، هي عين النفس.>

بعد ذلك يقول: <إنّ الاختلاف الموجود بين هذه القوى واختلاف

الأسماء فيها وكون هذه الأسماء مختلفة فيما بينها، لا يستوجب خروج حقيقتها عن النفس، ولا إضافة شيء خارج عن النفس، بل إنّ عين النفس اتحدت مع هذه القوى وظهرت بهذه الصور، فهذه القوى جميعها متحدة مع النفس.>

لمن هذا الكلام؟ الكلام لمحي الدين بن العربي. بعد ذلك يقول

المرحوم السبزواري مرة أخرى: <فعلى هذا، هذه القوى الموجودة في

الإنسان والتي هي أنوارٌ مختلفة، جميعها فانية في نور النفس، نور النفس، النفس الناطقة>.

في حين نرى الحكماء يقولون إنَّ النفس مجردة صرفاً، وهي ليست مادة أبداً، ولا تشوبها شائبة التقيّد والتعین، وقد بيّنوا هذا المطلب لكي لا يخطر على الأذهان: أنَّ النفس جسم أو جسمانيّة.

مثل بعض العوام والمقلّدين الذين إذا قال لهم أحدٌ: إنَّ النفس متّحدة مع القوى، يتصوّرون أنَّ النفس جسم؛ لأنَّ القوى تصدرّ الأفعال الخارجيّة، تصدرّ الأفعال الخارجيّة، يقولون إنَّ النفس جسم، كلا.. فقد أرادوا من قولهم إنَّ النفس مجردة، المرتبة العليا من النفس، وهي النفس التي يتجلّى منها إشراقاتٌ تظهرُ منها قوى الإنسان. فنفس الإنسان متّحدة فيما بينها؛ كان هذا كلام الحاج.

أمّا صدر المتألّهين، فيقول في الأسفار: ليس لنفس الإنسان الناطقة مقام ودرجة معلومة، وليس لها في الوجود حدّ خاصّ، على خلاف سائر الموجودات؛ فسائر الموجودات: إمّا موجودات طبيعيّة وإمّا موجودات نفسيّة وإمّا موجودات عقليّة، فموجودات عالم المادّة، وموجودات عالم البرزخ، موجودات عالم الوهم، عالم العقل، كلّ واحد منها له مقام معلوم ودرجة مشخصّة، لكن نفس الإنسان ليست هكذا، لها مقامات ودرجات متفاوتة، فقد عبرتُ مقاماتٍ عديدة قبل هذا العالم، كذلك هي تطوي عوالم متعدّدة بعد هذا العالم، فلنفس الإنسان في كلّ مقام، عالم خاصّ وصورة خاصّة، يعني تارة تستطيع نفس الإنسان أن تصعد إلى أعلى عليّين - مثلاً - وتارة تهبط إلى أسفل السافلين؛ من عالم العقل.. عالم النفس..

عالم الطبع.. تطوي جميع هذه العوالم ولا حدّ للنفس لكي نعيّنه لها. فالمرحوم الملاً صدرا يكشف عن كلام عجيب جداً، وأصل هذه العبارة موجود في الأسفار^(٢٤).

أمّا في كتاب "المبدأ والمعاد" للملاً صدرا في الأصل الرابع، من الأصول التي يبيّن فيها في "المقالة الثانية" التي هي في المعاد الجسماني، هكذا يبيّن لنا الأصل الرابع - وهو يوضح المطلب السابق المذكور في الأسفار بشكل جيّد - فيقول: سيدي العزيز! الوحدة الشخصية، التي نطلقها على الموجودات وننعتة بأنه واحد شخصي، هذه الوحدة الشخصية ليست على وتيرة واحدة وسياق واحد في كلّ الأشياء، ولا على درجة واحدة؛ فالوحدة الشخصية في الموجودات الجوهرية المجردة تختلف عن الوحدة الشخصية في الجواهر المادية وتتخذ حكماً آخر، فلو أخذنا جسماً واحداً معيناً شخصياً، أو أجساماً خارجية مثلاً، فإنه من المحال أن تجتمع فيه أوصافٌ متعدّدة، أو تعرض عليه أعراض متعدّدة أو متقابلة، كأن يكون مثلاً: جسمٌ خارجيٌّ أسود وفي نفس الوقت الذي هو أسود يكون أبيضاً أيضاً! أو يكون سعيداً وشقيّاً في آنٍ واحد، متلذّذاً ومتألماً في آنٍ واحد، أو يكون في الأعلى وفي الأسفل في آنٍ واحد، في الدنيا وفي الآخرة في آنٍ واحد.. فليس للأجسام الخارجية أن تتّصف بأوصافٍ متضادّة، لماذا؟ يقول:

«وذلك لضيق حوصلته ذاته وقصر ردائه الوجودي عن الجمع بين

الأمر المتخالف».

(أي إنَّ أصل ذاته ضيِّقة وقصيرة، ووجوده ضيِّق، وهذه الأجسام الخارجية كلِّما أرادت أن تحوز هذه الصفات المتضادة والأعراض المتقابلة والمتضادة، لا تستطيع).

إلَّا أنَّها بخلاف وجود الجوهر الناطقيِّ الكائن في الإنسان، فالجوهر الناطقيِّ الإنسانيِّ عجيب جداً! فخلقة نفس الإنسان عجيبة! مع أنَّ الإنسان واحد، ووحدته وحدة شخصية؛ وحضرة السيد الفلاني هو شخص واحد، أليس كذلك؟ السيد الفلاني.. كم شخص هو؟ واحد. نعم عنده وحدة شخصية! لا وحدة نوعية وجنسية، فهو واحد؛ إلَّا أنَّه مع كونه واحداً، مستجمعٌ للتجسّم والتجرّد.. هو جسمٌ ومجرّد.. سعيد وشقي، ففي وقتٍ واحدٍ يكون في أعلى عليين، وذلك بمجرّد أن يتصوّر أمراً قدسياً وروحانياً، فإنَّ روحه حينئذٍ تصعدُ إلى الأعلى، ثمَّ - ذلك الوقت - يهبطُ إلى أسفل السافلين، وذلك عندما يتصوّر أمراً شهوانياً. وفي بعض الأوقات يصبح ملكاً مقرباً وفي بعض الأوقات يصبح شيطاناً مريداً؛ فيتسافل ويهبطُ من تحت العرش إلى أن يحطَّ في أسفل السافلين. فهو واحد وهو موجودٌ واحد، أليس هذا الإنسان عجيباً؟

بعد ذلك يذكر المرحوم "الملاّ صدرا" دليلاً، فيقول:

<إدراك كلِّ شيء هو بأن يُنال حقيقة ذلك الشيء المُدرَك بما هو

مُدرك بل بالاتِّحاد معه>

إي إنَّ الشخص الذي يُدرَك شيئاً لا بدّ وأنَّ ينال ذلك الشيء؛ وعليه فمن يدرك المَلَك.. أو يدرك الشيطان.. يدرك أعلى العليين، أسفل السافلين.. لا بدّ وأنَّ ينال شيئاً من ذلك الشيء إذا؛ ومعنى أنَّه ينال: أنَّه

لابدّ وأن تكون عنده سعة وجوديّة ليستطيع أن يدرك، وإلاّ فالإنسان لا يستطيع أن يدرك ذلك الشيء! فليست المسألة مجرد إدراك وفهم، بل لا بدّ من الاتّحاد الوجوديّ، النفس عندما تدرك شيئاً وتحصلُ لديها معرفةً بذلك الشيء، لابدّ وأن تتحدّ مع ذلك الشيء. فالنفس التي تدرك الملك، يجب أن تتحدّ مع الملك؛ تدرك الشيطان؛ لابدّ وأن تكون متّحدة معه؛ تدرك موجودات العالم العلويّ، لا بدّ وأن تتحدّ معها.. أو تدرك موجودات عالم السفليّ، تتحد. هذا قول طائفة من العرفاء وأكثر المشائين والمحقّقين.

بعد ذلك يقول:

"صرّح بذلك الشيخ أبو نصر في مواضع من كتبه".

وأبو عليّ سينا، "اعترف به في كتابه المسمّى بالمبدأ والمعاد"، وفي موضع من كتاب الشفاء قد صرّح بهذا المعنى، وذلك ضمن الفصل السادس من المقالة التاسعة، في الإلهيات، حيث يقول أبو عليّ سينا: إنّ النفس تترقى دائماً، تترقى، إلى أن تنعكس في النفس هيئة الوجود، تنعكس جميع هيئة الوجود. فالنفس.. "ينقلب عالماً معقولاً مقبولاً موازياً للعالم الموجود كله" تصبح النفس عالماً معقولاً، جميع العوالم هي عوالم معقولة ها! والتي هي مشابهة وموازية للعالم المحسوس، وعلى هذا الأساس يصبح لنفس الإنسان جامعية وسعة.

ثمّ يتابع ويقول:

"مشاهداً لما هو الحسنُ المطلقُ والخيرُ المطلقُ والجمالُ الحقُّ ومتحدةً به ومنتقشةً بمثاله وهيئاته ومنخرطة في سلوكه وسائرةً من

جوهره" أي إنَّ النفس تشاهد الحسن المطلق، أي ذلك الموجود الذي لديه الحسن المطلق؛ أيُّ موجود لديه الحسن المطلق؟ ها؟ ذاتُ الله المقدسة؛ النفس تشاهد دائماً ذات الله، بما أنَّه عنده الحسن المطلق؛ يعني: ذلك الحسن الذي أظَلَّ على جميع العالم وأشرق عليه، وبحسنه خلق جميع الموجودات، وزَيَّنَ بجماله جمال جميع الموجودات؛ تكون النفس مشاهدةً للذات التي لها هكذا حسنٌ، ومشاهدةً للخير المطلق والجمال المطلق، وتتحد معه، وتتقش بمثاله، يعني: مثاله ينتقش في نفس الإنسان، يعني: يدخل في ذلك السلك؛ فهو له قوَّة نفس. عجيب كيف يبيِّن سعة النفس بهذا الشكل! لمن هذا الكلام؟ هو كلام أبي علي سينا.

وبعد ذلك يذكر أبو علي سينا: ما يؤيِّد ذاك المطلب الذي طرحناه سابقاً، وهو: أنَّ النفس تدرك جميع المدركات، تدركها بتمام المعنى، وتفهم الأمور بشكل كامل، فهي درآكة لجميع المدركات، وهي فاعلة لكلِّ الأفعال التي يمكن أن تصدر من الإنسان؛ فكلُّ ما يقوم الإنسان بفعله، وكلِّ المدركات التي يدركها، فإنَّ النفس هي التي تقوم به وتدركه، وهي التي تنزل في بعض الأحيان إلى رتبة الحواسِّ، وتفعل بعض الأعمال بواسطة الآلات والأعضاء، وفي بعض الأوقات، تصعدُ وترقِّي إلى الأعلى لتتصلَّ بالعقل المستفاد والعقل الفعَّال، كلُّ ذلك في آن واحد.

يكون الإنسان جالساً يحرك ورقة بيده أو يكتب بالقلم.. يكون مشغولاً بأعضائه وآلاته الحسيَّة، وفي بعض الأوقات، يسحبُ نفسه إلى الأعلى، فيلحق في عالم التجردِّ، ويصبحُ متصلاً بعالم العقل الفعَّال، فيتمكَّن - بإرادة واحدة - من إحياء ألف ميِّت، ويشفي ألف مريض.. كلُّ

ذلك في آن واحد، فهو في آنٍ واحدٍ يقوم بالكتابة واستخدام أعضائه وآلاته البدنيّة، وفي آنٍ واحدٍ أيضاً يقوم بعملِ العقلِ الفعّال، ويتّصل بالعقل المستفاد.. لماذا؟ أبو علي يجيب:

"لسعّة وجودها وبسط جوهريّتها وانتشار نورها في الأكناف والأطراف بل يتطوّر ذاته بالشؤون والأطوار وتجليها على الأعضاء والأرواح وتحليها بحلية الأجسام والأشباح من سنخ الأنوار ومعدن الأسرار".

بعد ذلك يذكر أبو علي سينا ذلك المطلب الذي يؤيّد دليلنا، من أن: النفس هي التي تدركُ جميع الإدراكات، فالإنسان الذي يفهم أمراً معيّناً من خلال إدراكاته للأشياء، هو مدرك لجميع الإدراكات، وفاعل لجميع الأفعال التي تقع منه أو التي يجريها، فمن هو الفاعل لجميع الأفعال والمدرك لجميع المدركات؟ هي تلك النفس الناطقة، التي تنزل في بعض الأوقات في مرتبة الحواس، ومن خلال الآلات والأعضاء تقوم بإجراء الأعمال وبعض الأوقات تصعد وتذهب وتتصل بالعقل (العقل المستفاد) والعقل الفعّال، في آنٍ واحد.

في حين أنّ الإنسان وهو جالس يهبط إلى الأسفل، يحمل ورقة، يكتب شيئاً بالقلم، بأعضائه وآلاته، يشتغل في عملٍ ما؛ يعمل عملاً في نفس ذلك الحين يسحب نفسه إلى الأعلى، يذهب إلى عالم التجرد ويتّصل بالعقل الفعّال، وإرادة واحدة، يحيي ألف ميّت ويشفي ألف مريض؛ في آنٍ واحد.. نعم! يشتغل بالكتابة ويستخدم الآلات، وفي آنٍ

واحد يعمل عمل العقل الفعّال ويتّصل بالعقل المستفاد.. لماذا؟ يقول أبو علي سينا:

لسعة وجودها وبسط جوهريّتها وانتشار نورها في الأكناف والأطراف بل تتطوّر ذاتها بالشؤون والأطوار، وتجلّيها على الأعضاء والأرواح وتحليها بحلية الأجسام والأشباح من سنخ الأنوار معدن الأسرار، لأنّ جوهر هذه النفس، منبسط جداً، منفتح جداً، نور هذه النفس منتشر جداً، مستول على الأطراف والأكناف والجوانب، بل إنّ ذات الإنسان ونفس الإنسان تتجلّى بالشؤون المختلفة والأطوار المتفاوتة، وتتجلّى بأعضاء الإنسان، تتجلّى بالأرواح وتتجلّى بحلية الأجسام؛ بل إنّ الأنفس بذاتها تأتي وتصبح جسماً، تأتي في البدن وتعمل مع البدن؛ والأشباح تأتي في الذهن، وهذه الصور الذهنية التي نحصل عليها (والتي تأتي إلى ذهننا) إنّما هي بواسطة تلك النفس؛ فنفس ذلك الجوهر المجرد يأتي ويصبح ذهنًا، يأتي ويصبح خارجًا، يأتي ويصبح بدنًا، يأتي ويعمل.

بعد ذلك يقول المرحوم ملا صدرا الذي ينقل هذه العبارة عن أبو علي سينا بأنّ: ومن هذا الأصل تبين وتحقّق ما ادعيناه من كون شيء واحد تارة محتاجاً في وجوده إلى عوارض ماديّة ولواحق جسميّة وذلك لضعف وجوده ونقص تجوهره وتارة ينفرد بذاته ويتخلّص بوجوده وذلك لاستكمال ذاته وتقويّ إيّيته.

وذلك لكي يثبت هذا المطلب الذي ذكرناه.. وهو عين ذلك المطلب الذي ادعيناه؛ من أنّ الشيء الواحد الذي هو النفس، تارة: يكون في وجود نفسه، يريد أن يوجد بلباس ماديّ، فيحتاج إلى عوارض المادّة

واللواحق الجسميّة، - لأنّ المادّة ضعيفة وهذه النفس تريد الآن أن تصبح في لباس المادّة والحال إنّ تجوهر المادّة ضعيف، فالنفس تأتي بنفسها إلى هذا المقام الضعيف، فتلبس المادّة، وبعض الأوقات تذهب إلى العوالم العليا؛ لأنّ موجودات العالم الأعلى قويّة، وهناك لا يحتاجون إلى مادّة، وهناك يكون استكمال ذاتها، وهناك تكون علّتها وحقيقتها مترقيّة جداً؛ وتذهب إلى هناك بدون مادّة، وهذه النفس الواحدة بذاتها في آنٍ واحد، هي موجودة هنا وهناك أيضاً موجودة، هي جسم ومادّة وهي أيضاً مجردة، فهي موجودة في عالم الطبع وأيضاً هي في عالم الأشباح وعالم العقول؛ هذا بسبب سعتها الوجوديّة.

فعلى هذا استُفيد من هذا المطلب إجمالاً أنّ نفس الإنسان عجيبة جداً، الآن نحن لا نعرف نفسنا ولا عندنا خبر عن ذاتنا، وهذا ليس دليلاً على أنّ حدّ نفس الإنسان هو ذلك الحدّ الذي توصلنا إليه من حدّ أنفسنا. افرضوا أنّ طفلاً قد مات أبوه ووصلت له ملايين الثروات، هذا الطفل مالك لهذه الثروة لكنّه لا يعلم بها؛ ومن الممكن أن يبيع جميع هذه الثروات بقبضة من "الحمص المملّح" لكنّه في الواقع هو مالك.. ها! مالك في الواقع.

الإنسان له وجود، له سعة، وله إحاطة، والله العليّ الأعلى طوى ووضع في وجوده عجائب لا يعلمها إلا الله؛ فلا يوجد موجود له سعة كسعة الإنسان، وهذا الموجود هو الذي يستطيع أن يفنى في ذات الله وهو مرآة تعكس جميع صفات الله وأسمائه؛ هذه المرآة غير تلك المرآة الأفقيّة؛ تلك المرايا والآيات الأفقيّة التي شرحناها في الأسبوع الماضي،

وقلنا بأنّ كلّ واحدة منها تحكي الله من جهة خاصّة، لكن الإنسان يحاكي الله من جميع الجهات، وجميع العوالم التي خلقها الله العليّ الأعلى ، بدءاً من عالم الملكوت الأعلى ، الملكوت الأسفل ومن عالم الملك، عالم الناسوت والجبروت وعالم الملكوت وصولاً إلى عالم اللاهوت، وجميعها منطوية في وجود الإنسان. عجيب هذا الإنسان! ما أجمل ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام، قال:

دواؤك فيك وما تشعر

وداؤك منك ولا تبصر

"دواؤك": هو أن تصل إلى ذلك المقام، موجود فيك، لكنك لا تشعر بهذه الحقيقة، ولا اطلاع لك عليه؛ وكذلك ألمك ودواؤك فهو منك، ألا تفهم وتلتفت؟! يعني أنت ما زلت بعيداً عن هذه الحقيقة، والحال أنّك أنت السبب.

وأنت الكتاب المبين الذي

بأحرفه يظهر المضمّر

أي أنت كتاب الله المبين الجليّ الذي بجميع أحرفه، تظهر تلك الخفايا والسرائر والأسرار الخفيّة.

أتزعم أنّك جرم صغير

وفيك انطوى العالم الأكبر

فأنت تتصوّر أنّك جرم صغير؟! أنّك بدن صغير؟! هذا هو؟! والحال أنّ العالم الأكبر قد انطوى فيك ووضعه الله العليّ الأعلى فيك؛ جعلك الله الآية الكبرى.

الآية الأكبر، آية الله الكبرى، ما معنى الأكبر؟ على وزن أفضل، هو من أفعل التفضيل، يعني: أكبر، أي إنّ أكبر آية من آيات الله هي الإنسان؛ أكبر آية! فهل هناك أكبر من هذه الآية عندنا؟ لا شيء.

ما أجمل ما قال المرحوم الحاج الميرزا حبيب الله الخراساني.. جيدٌ ما يقوله.. جيدٌ ما يقوله.. من أنّه: إذا استطاع الإنسان أن يعثر على قلبه ويجمده، فالملك موجود في قلب الإنسان هذا، فيه الملكوت، فيه المخفّيات، فيه العرش، جميع دفاتر الله مثبتة فيه، اللوح المحفوظ موجود هنا، كلّ ما هو كائن موجود هنا، إذا استطاع الإنسان أن يصل إلى قلبه! ها...! القلب يعني: - ذلك الشيء - هنا يعبر عنه بمقام الباطن الذي منه يصل الإنسان إلى أسماء الله وصفاته الكلّية.

هناك طريق ومسير من هذا المأتم والعزاء إلى ذلك الحفل والضيافة. ومعنى المأتم: دار العزاء، وهي ظلمة عالم الطبيعة هذا، وأيضاً معنى الضيافة هو محلّ البهجة والسعادة والتنعّم الذي جعله الله العليّ الأعلى للإنسان في العوالم الأخروية.

رهي باشد از این ماتم بدان سور(هل تستمعون يا سادة...؟)

نمی دانم که نزدیک است یا دور (٢٥)

٢٥ - يعني: هناك طريق يقع بين هذا العالم - والذي هو عبارة عن مأتم وعزاء - إلى تلك الضيافة وذاك الحفل - أي العوالم العليا والملكوت والآخرة - ولا أعلم هل هو قريب أم بعيد.

- بود دل منزل حق، لیک ما را
 (۲۶) بود تا دل حجابی سخت مستور
 برو ویرانه کن دل را که جون دل
 (۲۷) شود ویرانه، گردد بیت معمور
 طواف و سیر گرد خانه دل
 (۲۸) بود حجّی که مقبول است و مشکور
 گناهی جز خودی نبود چو خود را
 (۲۹) رهاکردی بود ذنب تو مغفور
 بخوان از دفتر دل، هر چه خواهی
 (۳۰) که دل را خوانده ایزد، لوح مستور
 در این دفتر شود اسرار حق ثبت
 (۳۱) که خواندش به مصحف رَقّ منشور
 در این مصحف که انسان است نامش
 (۳۲) بخوان از سورة دل، آية نور

۲۶ - یعنی: إن القلب هو بیت الله تعالی، لکننا محجوبون مبعدون بسبب وجود حجاب غلیظ وساتر کبیر، أي هناك حجاب وثیق بیننا و بین قلبنا..

۲۷ - یعنی: اذهب ودمّر هذا القلب، حتّی یصبح بیتاً معموراً.

۲۸ - یعنی: وحينئذٍ یكون الطواف والدوران حول بیت القلب كالحجّ المقبول والمشكور.

۲۹ - یعنی: لم یکن عندك ذنب سوى وجودك (أنايبتك وإيبتك)، فإن تترك نفسك یصیر ذنبك مغفوراً.

۳۰ - یعنی: اقرأ من دفتر القلب كلّ ما تريد، فقد سمّی الله القلب باللوح المستور، أي إن قلب الإنسان هو اللوح المستور فیما لو اتّصل بالمقام الأعلى.

۳۱ - یعنی: قد ثبتت و سجّلت أسرار الله في دفتر القلب، كما وإِنَّه قد سمّی في القرآن بـ الرقّ المنشور.

دل است آن وادي ايمن كه گويد

أنا الحق، حقّ در او، از آتش طور؟^(٣٣)

فأنا الحقّ أظهر في القلب، وقد ورد في الحديث القدسيّ المرويّ بواسطة الشيعة والسنة عن حضرة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال:

لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن^(٣٤)

أي لا يمكن لسمواتي أن تسعني، وليس لأراضي أن تستوعب وجودي، إلا أن قلب عبدي المؤمن بي هو محلّ لي، ماذا يعني ذلك؟ هل الله محدود؟! هل يأتي ويتنزّل؟ فليس الله بمحدود؛ كذلك القلب - والذي هو حقيقة الإنسان - ليس بمحدود أيضاً، ووجوده مجرد غير محدود، إلا أن وجوده ليس مستقلاً ولا حقيقياً، وإنما هو وجود ظلّي وتبعي. فذات وجود الله أحديّة، وواحدية بالوحدة الحقّة الحقيقية، وأمّا وحدة القلب فهي وحدة حقّة ظليّة، والحال أنّه من ناحية القلب هو عينه، فهو ظلّه وهو ذو الظلّ، وهنا مسائل وخفايا كثيرة جداً، وفي ذلك أبحاث جيّدة وأنيقة جداً، فهذه الآية المباركة التي تقول:

٣٢ - يعني: فاقراً آية النور من سورة القلب، اقرأها من هذا المصحف الذي اسمه الإنسان، إشارة إلى قوله تعالى: الله نور السماوات والأرض.

٣٣ - يعني: فالقلب هو الوادي الأمين الذي يسمّى أنا الحقّ، فالحق كائن فيه، وهو الذي يقول الله تعالى في حقّه: أنا الحقّ من نار طور سيناء.

٣٤ - عوالي اللآلي، ابن أبي جمهور الأحسائي الجزء الرابع صفحة ٧. وكذلك في شجرة طوبى ١: ١٥.

أَلَمْ تَرِ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا%^(٣٥) يجب أن نبحثها بحثاً مفصلاً، ونذكر تفسيرها، والآن حيث أننا أردنا ذلك، فلنا أن نسأل:

أيّ قسم أراد أن يبيّنه الله العليّ الأعلى من وجوده؟ وبيان كيفية انتسابه إلى ذات الله؟ فالقلب ليس له حجم ولا كمية محدودة، وهو خلاصة مطلب الملام صدرًا، وهو مراد محيي الدين، حيث بين هؤلاء أنه ليس للقلب مراتب، بخلاف سائر الموجودات حيث أن لكل من عالم الطبع والنفس والعقل مراتب وتعيّنات ماعدا القلب، أي: النفس الإنسانيّة الناطقة التي:

ليس له مرتبة معيّنة ولا درجة محدودة، بل له نشآت سابقة ولاحقة وله في كلّ عالم صورة ومقام خاصّ.. عجيبٌ جدًّاها! فقد جاء في الرواية:

لا يزالُ العبدُ يتقرَّبُ إليَّ بالنوافلِ حتّى أُحِبَّهُ فإذا أُحِبَّتهُ كنتُ سمعَهُ الذي يسمعُ به وبصره الذي يبصرُ به ولسانه الذي ينطقُ به ويده التي يبطشُ بها إن دعاني أُجِبَّته وإن سألتني أعطيتُهُ^(٣٦).

فلو أرادَ الإنسان أن يبلغَ هذا المقام، كيفَ يمكنه ذلك؟ وكيف يبلغه؟ وكيف يقدّم قلبه؟ الله يقول: عبدي هو الذي يظلّ مواظباً على

٣٥ - سورة الفرقان ٢٥ الآية ٤٥.

٣٦ - المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي ١: ٢٩١ - دار الكتب الإسلامية. وكتاب المؤمن، الحسين بن سعيد صفحة ٣٢ - مدرسة الإمام المهدي ع.ج. والكافي ٢: ٣٥٢ وعلل الشرائع ١: ١٢ وكفاية الأثر للخزاز القمي صفحة ١٤٤ والوسائل ٤: ٧٢ وغيرها.

طاعتي ومداوماً على ما يوافقُ رضاي؛ فالنافلة تعني: العمل الحسن، العمل المرضي لله، فيظل الإنسان يواظبُ على هذه الأعمال، ويستمر في قيامه بها، ويستمر ويستمر، حتى يحبه الله، وحينما يصير الإنسان محبوباً لله، فإنه يتخلّى عن وجوده بشكلٍ تدريجي، ليضع هواه ورغبته في طريق الله.

با دو كعبه در ره توحيد نتوان رفت راست

يا رضای دوست باید، یا هوای خویشتنج^(٣٧)

فإن يقوِّي الإنسان رضا محبوبه، ويتخلّى عن هواه الشخصي ويجعله في ما يحبه الله.. "حتى أحبه" يعني: أنا أحب هذا العبد، وحينما أكون قد أحببته، ويكون قد أصبح محبوباً لي.. يقول الله: أصبح سمعته الذي يسمع به، فليس له سمعٌ مختصٌ به، وإنما هو سمعي أنا، وأصير عينه التي يبصر بها، وأكون لسانه الذي يتكلم به، وأنا يده التي أعطي من خلالها وأمنع بواسطتها، فإن دعاني أجبته، وإن سألتني شيئاً فإنني أستجيب له وأعطيه.

متى يبلغ العبد مرحلة الفناء؟ يعني: متى تبلغ مرحلة يدرك فيها حقيقة نفسه وقلبه، يعني: متى يترقى ويرتفع عن هذا المستوى المادي.. ويتجاوز الشيطان المرید.. وينسلخ عن أسفل السافلين.. فيرتفع ويرقى عالياً.. فيعلو ويعلو.. حتى يصل إلى مقام الملائكة.. في أعلى عليين، ثم يتابع مسيره إلى الأعلى.. فيذهب وينمحي في الأسماء والصفات.. ثم يتابع إلى الأعلى وينمحي وجوده في الذات.. ويبلغ رتبة: "حتى أحبه"

٣٧ - يعني: لا يمكن أن يتقدم في طريق التوحيد بواسطة كعبتين؛ فإمّا رضی الحبيب وإمّا هوى النفس فهما لا يجتمعان.

حيثُ لا اثنيَّة هناك. فهناك مقام عالٍ جداً، وهو المقام المختصُّ بالإنسان الذي يمثِّل الآية الإلهية الكبرى، وليس لأيِّ موجودٍ من الموجودات أن يردَّ ذاك المقام، فالنبيُّ تمكَّنَ من الورود، إلا أن جبرائيل لم يستطع أن يتقدَّم، وقال: يا رسول الله! لو تقدَّمتُ أنملة لاحتُرقت.

اگر يك سر موی برتر پرَم

نور تجلی بسوزی پرَم^(٣٨)

فلم يستطع جبرائيل من التقدُّم، لكنَّ النبيَّ وردَ ودخل، وأمير المؤمنين وصل إلى هذا المقام، وكذلك الأئمة قد وردوا، وكلُّ من يلحقُ بهم ويتَّبِعهم من الأئمة ويكون من الصديقين والمخلصين، سوف يلحقُ بهم؛ وهذا هو مقام الإنسان.

وصلَ بحثنا هذه الليلة إلى أنَّه لا يمكنُ للإنسان أن يعرفَ ذاتَ الله من جميع الجهات بواسطة الموجودات الآفاقية - وذلك على غرار ما تقدَّم في بحث الأسبوع الماضي - وأمَّا من الناحية النفسية، أي بواسطة آية النفس؛ فبإمكان الإنسان أن يدركَ ويترقَّى إلى حيثُ لا يوجد هناك إلاَّ الله؛ حيثُ هناك الله الأحد.

روت لي أحاديث الغرامِ صباةً

بإسنادها عن جيرة العَلَمِ الفردِ

٣٨ - هذا إشارة إلى كلام جبرائيل للنبيِّ في حادثة الإسراء والمعراج: "لو تقدَّمتُ أنملة لاحتُرقت" وذلك لتجلي الذات الإلهية، فتجلي الذات يحرق أجنتي.

جميل جداً، متى يبلغ الإنسان تلك الرتبة؟ يقول: أحاديث الغرام، والغرام هو العشق الشديد المحرق، الذي يشتدّ على قلب الإنسان ويوجب له تحريك القلب وارتجاجه واهتزازه، وهذا ما يقال له: الغرام والصبابة. يقول: <إنّ انشداي وتمايلي الذي ظهرَ فيّ قد روى لي أحاديث الغرام والعشق، وذلك نقلاً عن سلسلة سنده المتّصل بذاته، فالصبابة هي التي روت لي، وذلك بإسنادها عن جيرة العَلَمِ الفرد، أي عن الجيران القاطنين هناك فوق رأس الجبل الفرد، يسكنون هناك وحدهم لا أحد معهم، وهم ينقلون لي خبر ذلك المكان >

وحدّثني مرُّ النسيم عن الصبا

عن الدّوح عن وادي الغضيّ عن ربي نجد

عن الدمع عن عين القريح عن الجوى

عن الحُزن عن قلب الجريح عن الوجدي

بأنّ غرامي والهوى قد تحالفا

على تلقّي حتّى أوَسَدَ في لحدي

<ثمّ ماذا عمل؟ ثمّ حدّثني، أي هذا النسيم العليل بواسطة سلسلة سنده المتّصل بذاته، فمرور النسيم حدّثني عن من؟ عن رياح الصبا التي تهبّ وتعلو من المشرق، ثمّ رياح الصبا تحكي عن من؟ عن ذاك الفضاء المظلل الواسع فوق وادي الغضيّ فوق نجد.. حيثُ هناك محلُّ الصالحين وهم مستقرّون فيه.. ثمّ هو بدوره يحدّثني بنقله عن دموع عيوني.. ثمّ الدموع تنقل عن من؟ عن العين المجروحة والمدميّة.. وهي تحكي عن من؟ عن تلك الحرارة واللوعة اللاهبة في عيني.. وهي تنقل عن من؟ عن

الغصّة الموجودة في قلبي.. والغصّة تحكي عن القلب المدميّ المجروح..
وقلبي المجروح يحكي عن حال فراقي ووحدتي.. فكلّ أولئك يحكون
وينقلون لي أنّ الغرام...>